الثورة
www.althawranews.net
الجمعة 1 شعبان 1435هـ 30 مايو 2014م العدد 18089
Friday : 1 Shaban 1435 - 30 May 2014 - Issue No. 18089

الحاشية والمتن فى رواية "ظلمة يائيل"

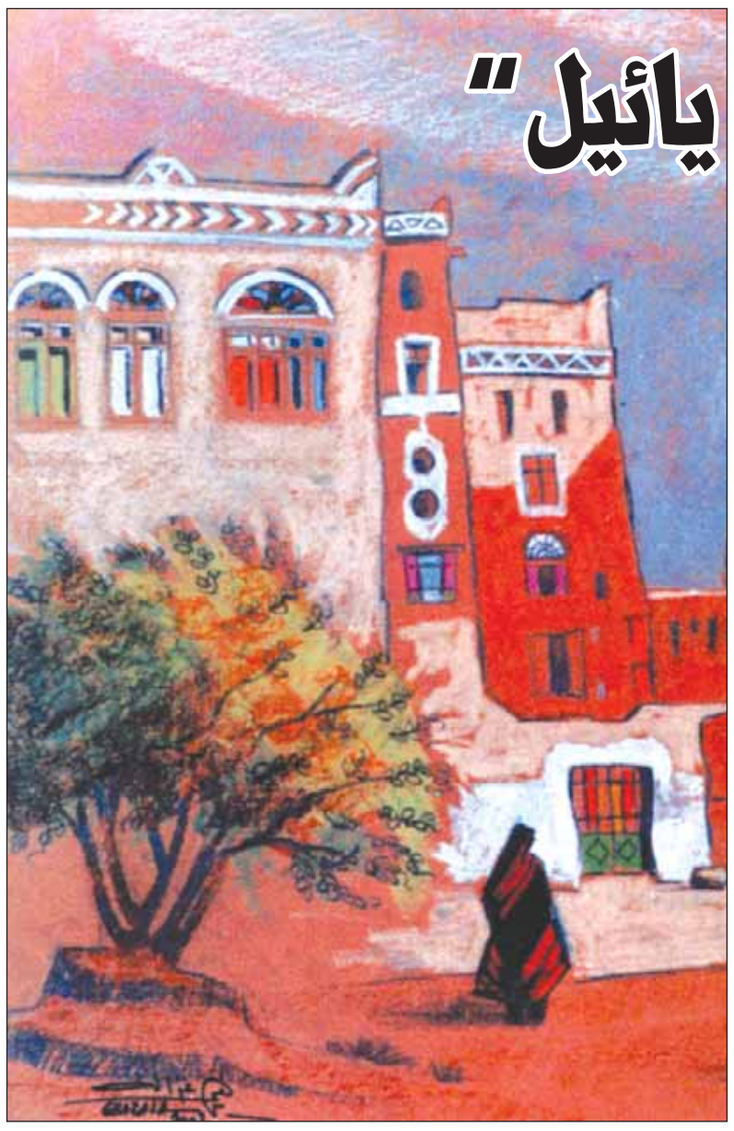

شوقى بدر يوسف*

فى روايته "ظلمة يائيل" يستخدم الكاتب الروائى محمد الغربى عمران آلية تجريبية جديدة فى ثنايا نسيج روايته جاءت على شكل المتن الروائى المنبثق منه حاشية خاصة لها استقلاليتها الشكلية والمستقلة تماما عن بنية النص الأصلى فى مادتها وموضوعها والبعد السردى القائمة عليه، والحاشية هنا ليست للشرح والتأويل وتيسير ما يصعب فهمه أو شرح ما استغلق من النص، ولكنها جاءت بمثابة نوع من التقديم الخاص لبنية النص الروائى من خلال قصة قصيرة تبدو فى استقلاليتها عن النص الأصلى بمثابة حاشية شكلية لها جمالياتها الخاصة فى الشكل والمضمون، وقد وضعها الكاتب واستخدمها بطريقة فنية لتصاحب المتن الروائى فى رحلته الفنية وتواتر أحداثه وحضور شخصياته الفاعلة داخل النص. ولكل من المتن والحاشية راو خاص به، وأحداث يتواتر فعل الحدث فيها بصورة مستقلة، وحبكة فنية مستقلة تماما عن بعضها البعض. وتمثل الحاشية فى حد ذاتها قصة قصيرة تخللت النص الروائى فى تجريب غير مسبوق للكاتب أضاف إلى الرواية أبعادا رؤيوية فى الدلالة والتأويل وفى توقيت تواجده فى نسق النسيج الروائى. فالراوى فى المتن الروائى هو جوذر وقد عرف نفسه فى الاستهلال الأولى للمتن الروائى بقوله ": أما بعد.. أنا جوذر بن..... عشت كما شاءت المشيئة". (الرواية ص13). أما الحاشية النصية فكان راويها هو أحد أفراد لجنة وزارة الثقافة القادمة لجرد مقتنيات "الدار الوطنية للمخطوطات والوثائق" ولم يسمه الكاتب. وهو الذى يستهل حاشية النص بهذا المدخل القصصى الوصفى فى زمانه ومكانه": العاشرة صباحا جموعة عمال الأرصفة.. باعة يفترشون نهر الشارع.. مكبر صوت عربة جمع النفايات.. مقاه يحتل زواياها عاطلون.. أسراب المتسولين.. دخلنا باب اليمن.. دكاكين عتيقة.. شوارع ضيقة.. مبان موغلة فى القدم.. حاذينا جدار أسود للجامع العتيق ينتهى عند شجرة تين هرمة. بوابة حديد دهنت بلون رمادى.. دخلنا عبر فرخ البوابة.. إلى يميننا غرفة حراسة من طوب عار.. جندى لا يتجاوز الخامسة عشر ماذا تريدون؟
أجبته بصوت باسم:
صباح الخير.. نريد مدير الدار.
لم يأت بعد.
سننتظره.
ممنوع الانتظار هنا!
وقفنا حيث كنا. عاودت حديثى للجندى:
نحن فى مهمة.
من أنتم؟
نحن لجنة من وزارة الثقافة". (حاشية الرواية ص15/14)

وتتواتر أحداث الحاشية فى نقاط محددة من نسيج الرواية طبقا لما جاءت عليه داخل النص. حيث يتداخل الكاتب برؤيته النصية بين ما ورد بمتن الرواية باعتبارها مخطوطا قديما يحمل نصوصا محكية من التاريخ القديم لليمن فى أقسامه الثلاث، ومحكياته السردية المتخيلة التى جاءت عليه فى نسيج النص الروائى، والذى كان محفوظا فى إحدى صناديق المخطوطات بالدار الوطنية للمحفوظات والوثائق، وما ورد بالحاشية المصاحبة لها والكاشفة عن رغبة أحد أعضاء لجنة جرد الدار قراءة هذا المخطوط التراثى المدون فيه حكاية "ظلمة يائيل" بمقاطعها الثلاث لولعه الخاص بمثل هذه القراءات، ومحاولته الوصول إلى هذا المخطوط بأى وسيلة عندما اكتشفه فى إحدى صناديق المخطوطات المحفوظة، وهو بعد يزيد عنصرى التشويق والإثارة على نسقى المتن والحاشية فى سردهما المتخلل تخوم الرواية والحبكة الفنية التى طالت كل منهما على حده. إضافة إلى استخدام الكاتب فى تيمة الحاشية معادلا موضوعيا مستقلا عن المعادل الموضوعى للرواية (المتن) وهو الفساد السائد فى المسار الثقافى الحالى من خلال سرقة المخطوطات والمتاجرة بها بطرق غير شرعية. وربما كانت الاشتغال على موضوع سرقة المخطوطات وما يدور حولها من فساد فى نسيج الحاشية، ومهنة الراوى جوذر الشخصية الرئيسية داخل متن الرواية السردية يتماهيان ويتداخلان فى جوانب صنعة واحدة هى صنعة الوراقين، ويتقاطعان ما بين المتن والحاشية فى الدلالة الحاكمة لعنصر القراءة وعنصر القص. فقد سارت الحاشية على نسق القص القصير الحامل لأزمته الخاصة به داخله ولكنه لا ينفصل أبدا عن محور النص الروائى الأصيل من ناحية إثارة التشويق إليه ومحاولة القارئ الوصول إلى ذائقة تتيح له الاستمرار فى قراءة المتن والاستمتاع بفعل القراءة نفسه للوصول إلى ما يتسيد النص من وقائع ومحكيات وأحداث تبدو غرائبية فى بعض الأحيان فى العديد فى تناص للعديد من النصوص الروائية التى جاءت على نفس الشاكلة، خاصة تلك النصوص المعتمدة على موضوعات المدونات والمخطوطات. وهى كثيرة فى عالم الرواية سواء الرواية العالمية أو العربية، نجدها فى على سبيل المثال فى تونس فى روايات "حدث أبو هريرة .. قال" لمحمود المسعدى، و"النخاس" لصلاح الدين بوجاه، و"المعجزة" لمحمود طرشونة، وفى الأردن فى رواية يحيى القيسى "باب الحيرة"، ومؤنس الرزاز فى روايته "أحياء فى البحر الميت"، وفى رواية "عزازيل" ليوسف زيدان، وفى رواية "سمرقند" لأمين معلوف حيث يشير الراوى فيها إلى أن "فى أعماق المحيط الأطلسى مخطوط كتاب وقصه هى التى سيرويها". كذلك روايات "اسم الوردة" لإمبرتو إيكو، و"شيفرة دافنشى" لدان براون، جميع هذه الروايات تعتمد موضوعاتها على مخطوطات تاريخية تشتغل عليها بصورة أو بأخرى، إلا أن اشتغال الغربى عمران على عنصر المخطوطات فى رواية "ظلمة يائيل" جاء عبر اكتشاف مخطوط الرواية أثناء جرد "الدار الوطنية للمخطوطات والوثائق" من خلال ولع أحد أعضاء لجنة الجرد بالقراءة السردية، وكان أن اكتشف هذا المخطوط التاريخى فى أحد صناديق الدار، وكان ارتباطه بهذا المخطوط أثناء عملية الجرد حاضرة بقوة بحيث أنه لفت الأنظار إلى محاولاته القراءة بعيدا عن أعين أعضاء اللجنة وموظفى الدار، وقد تجاوزت مقاطع الحاشية فصول الرواية حسبما تعرض له الراوى الأول فى الحاشية لمحنة القراءة بعيدا عن الأعين خوفا من المساءلة والعقاب، وكانت هذه هى الأزمة التى اشتغل عليها الكاتب فى آليات الحاشية. إلا أن ما يميز عمل الكاتب فى هذه التقنية التجريبية الخاصة بمزج المتن مع حاشيته المنفصلة عنه فى السرد والحكى هو تداخل المتن مع الحاشية فى مواقع محددة قصد منها الكاتب أن يقطع سياق المتن الروائى بأحداث الحاشية البعيدة كل البعد عن أحداث المتن فى الزمان والمكان والسرد، ومن ثم يختار الموضع المناسب لهذا القطع إما لإثارة القارئ أو لدلالة خاصة وتأويل محدد يعرفه الكاتب ويريد من القارئ بذائقته الخاصة أن يتواصل إليه فى هذا التحديد. كما أن أزمة راوى الحاشية التى وقع فيها والحبكة القصصية التى وردت فى صلب الحاشية كانت بمثابة البعد الخاص بالقصة القصيرة التى هى بؤرة نص الحاشية حيث وقع الراوى تحت طائلة رئيس اللجنة الذى كشف رغبته فى قراءة المخطوط وكانت فرصة له لإرباك أعمال اللجنة وتوريط الراوى فى سرقات المخطوطات التى يعرفها هو ومجموعته داخل الدار، خاصة وأن الراوى قد اكتشف سرقة بعض المخطوطات وأن الكشوف المعدة للجرد كانت مزورة ": كان ذلك الزميل قد أوغل فى استغلالى، وكنت أفكر بالتوقف عن توقيع تلك الكشوفات المزورة، وفى نفس الوقت أحاول استكمال قراءة بقية ظلمة يائيل، وأنا أبحث عن وسيلة لإخراجها، أو نسخها.. أو إكمال قراءتها حتى أتحرر من استغلاله.. وكنت فى حيرة:. (ص198)، وعندما واتت الراوى الشجاعة فيما رأى من خلو كثير من صناديق المخطوطات من المخطوطات الثمينة، أدلى ببعض التصريحات إلى بعض الصحف حول هذا الموضوع. وكانت ضريبة هذه المحاولات المضنية مع الحقيقة وقراءة المخطوط أن قبض على الراوى وبدأ التحقيق معه حول هذه الواقعة ": اقتادونى فى ليلة ليلاء.. وعلى طاولة ضابط التحقيق فردت أمامى صفحات تلك الصحيفة التى نشرت أقوالى وصورى.. يسألنى المحقق: هل هذه أقوالك؟ أودعونى سجنا غريبا.. عرفت فيما بعد بأنه كان دار للإمام البدر.. فى حارة البونية.. قريبا من ميدان التحرير.. سمحوا لأحد أقاربى بزيارتى.. وهو الذى جلب إلى النسخة الضوئية من المخطوطة بعد أن استلم عسكرى الحراسة أتاوته.. لم أعد أعلم ما يدور خارج سجنى.. واصلت قراءة ما تبقى لى من المخطوطة". (ص341)

كان عنصر الأزمة فى الحاشية وحبكتها القصصية بمثابة التقديم لهذا النص الروائى من خلال هذه المحكية القصيرة التى تخللت بؤرة المتن الروائى فى سرديته الفنية، وكانت الحبكة القصصية بمثابة رؤية خاصة وضع الكاتب خلالها روح التاريخ القديم لليمن والفساد الذى طال الحاضر منه حتى فيما كتبه القدماء حين جعل هذه المخطوطات تسرق وتباع وكأن تاريخ اليمن هو نفسه يباع فى سوق النخاسة، حتى أن راوى الحاشية قد سجن فى سجن يشبه نفس السجن الذى سجن فيه جوذر الشخصية الرئيسة فى المتن الأصلى للرواية، وهى لعبة فنية ابتدعها الكاتب ليحيل إلى نفس اللعبة الفنية التى وضع أصولها فى المتن والحاشية معا.

* مصر

تلويحات

محمد القعود

1
الى أين ايها الحب تأخذني
الى عنوان طمسته يدا الحبيب كي
أضيع في متاهة الأيام ,
أم الى نسيان يقودني الى جنون
يراقصني على ايقاع الغابات
والذئاب ..
أيها الحب لاحب لك
لاعهد لك
ولاصداقة معك ,,
إذهب عني بعيدا ,بعيدا ,
نحو أوهامك الكثيرة ,
ونحو أعذارك الحامضة كالخيبات
المتناسلة ,,
إذهب بعيدا واترك لي برهة من
الحلم
وفسحة من الندم وشرفة مفتوحة
على الشجن
كي أرتب أوجاع قلبي وأعيد ماتهدم
من فصول ربيعي
كي أعيد الى لغتي تمردها ..
وأعيد الى الامل اسمه وملامحه
الاولى ,,
ايها ال...
2
هاهو وردي ملقي على الطرقات
عطره يئن من قسوة ذلك الحبيب
الذي لم يصافحه هذا الصباح
وها هوقلبي ينثر آلامه تحت
الشمس علها تجف وتكف عن
هديلها الباكي ..
وها هو العمر يعلن حالة الحداد
على ماضاع من افراحه..
هاهو الصباح يعلن تضامنه معي
ويذرف ندى دموعه ويشد على يدي
بأن الصبر مفتاح الفرج ..
3
كنت قد أعددت باقة الورد واخترت
الاغنية المعبرة .وكتبت لعينيها
قصيدة جديدة وتواعدت مع سرب
من العصافير لتحمل اليها تحية
الربيع ورشوت العطر أن يسمح
لأبناء عشيرته أن يعيثوا في طريقها
عطرا.
لكنها بغضبها الطارئ ونزقها
الغريب تسببت في عرقلة سير
الفرح وازدحام المدينة بحزني ..

النص المفتوح في "ذكرى من رماد الغروب" لسمر عامر

كتب/ صدام الزيدي،،

هي قاصة تكتب الشعر, وهي شاعرة أتقنت السرد وتصطلي من بين رماد عذابات الإنسانية أدباً متشبثاً بالحياة وبقريحة مبدعةٍ غزيرةٍ وناضجة..

في 2012م أصدرت باكورة قصصية بعنوان "دموع بلاستيكية" وقبلها في 2010م نالت جائزة رئيس الجمهورية للمبدعين الشباب بمحافظة المحويت.. لم تتوار بعيداً, أطلّت -مجدداً- بإصدارٍ ثانٍ, هو متسع للشعر والقصة والكتابة المفتوحة على مصراعيّ الدهشة والتحدي بالنسبة لفتاة لم يمنعها إصرارها وملكة من الابداع المتوثب, من الانخراط في هم إبداعي, في وسط مجتمعٍي ما يزال بيئةً للمجتمع "المحافظ والتقليدي"..

عن "عبادي للدراسات والنشر" بصنعاء و"نادي القصة إل مقه" صدر حديثاً للأديبة والكاتبة "سمر محمد عامر" كتابها الثاني "ذكرى من رماد الغروب" في (192) صفحة من القطع الوسط تتناثر بين دفتيه (135) نصاً تصر صاحبته على توصيفها بـ "نصوص مفتوحة" جرى توزيعها على (5) مدلفيات هي: "عناق- سراب- الكنز الذائب- توهج- زخات عطر" كل مدلفيةٍ دمغت بلوحة فنيةٍ تحاكي الطبيعة واستلهامات الإنسان اليمني, للفنان التشكيلي المعروف "ناصر مرحب" رئيس بيت الفن بمحافظة المحويت, لتتناغم السردية بالتشكيل مفرزتان عملاً أدبياً- فنياً أضفت إيقاعات بنيته السياقية مخمليات للدهشة المتداعية على تماس "ذكرى من رماد الغروب"..

في تقديمه للإصدار, يكتب شاعر اليمن الكبير د.عبد العزيز المقالح: "بما أنني قارئ قبل أن أكون ناقداً, فإنه ليأسرني هذا النوع من الكتابة المفتوحة, وأرى فيها خلاصة راقية للنشر الأدبي في أعلى مستوياته التعبيرية".. مشيراً إلى " وما كان لها - يعني مؤلفة الكتاب- أن تسافر في فضاءاتها القاصية دون إتقانٍ للقواعد ودراية بمستويات الأسلوب, وما يضمره من مماثلةٍ فنيةٍ وبراعةٍ في تراكيب الجملة, بينما يختتم "المقالح" تقديمه للعملٍ متوقفاً عند مقطع شعري يلفت الانتباه تداخلاً حميماً بين نصوص نثريةٍ وأخرى شعرية مكتوبة على النظام العمودي أو نظام التفعيلة"...., هذا نصه: (أغلق الآن ظلي/ أسير وبي ظلمة النار/ كنت أنا المتوهج/ فوق الصراط المسافر/ في العتمة الهاجرة)؛ حين قرأت هذا المقطع, قلت لنفسي -والانطباع هنا للمقالح- دون أن يكون في قولي أثر للمبالغة: " إن أكبر الشعراء يتمنى أن يكون هذا المقطع من انجازه, لأن فيه من الشعر ما ليس في قصائد كثيرة منسوبة إلى الشعراء الكبار".

*من أجواء الكتاب:

"جذوة تستعر من تحت رماد الانتظار... مُتحيِّنة الفرصة لتلتهم الرؤوس اليانعة.

كشفت عن أوار صبرها, فأضاءت الدنيا بشعلتها, التي لن تطفئها أفواه عبيد زمن العولمة!".

سيرة حياة

أطلقوا على الرئيس الفرنسي الراحل، فرانسوا ميتران، توصيفاً مفاده أنه كان "آخر ملوك أوروبا"؛ وهو الذي كان أول رئيس جمهورية اشتراكي في تاريخ الجمهورية الفرنسية الخامسة، التي أسسها الجنرال شارل ديغول عام 1958.

إن سيرة حياة فرانسوا ميتران شكلت موضوع العديد من الكتب في فرنسا، واجتمع أصحابها على القول، انه كان أحد أهم الشخصيات الفرنسية، وأحد أشهرها في العالم خلال القرن العشرين. من هنا، تأتي أهمية أول سيرة تصدر عن حياته باللغة الإنجليزية للصحافي البريطاني فيليب شورت، تحت عنوان ": ميتران : دراسة يكتنفها الغموض».

الصورة التي يرسمها فيليب شورت للرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران، أنه كان "شخصية يكتنفها الغموض". ذلك على خلفية ما عرفه مسار حياته من مواقف متناقضة. وينقل عنه قوله عندما كان طفلا:" عندما كنت صغيرا كنت أفكر أنني سأصبح بابا للفاتيكان أو ملكا».

يشير المؤلف أوّلا، إلى ولادته عام 1916، في كنف أسرة برجوازية محافظة، إذ مال إلى المجموعات اليمينية المتطرّفة التي عرفتها الجمهورية الفرنسية الثالثة في سنواتها الأخيرة. وهكذا كان قريبا من المنظمة السريّة "القناع ـ الكاغول"، التي اعتمدت العنف من أجل تحقيق أغراضها، لكن من دون أن ينتسب لها فعليا، كما يحدد المؤلف القول.

في الفترة نفسها من حماس الشباب، عرف فرانسوا ميتران "الحب الأول" في حياته. وكان عمره21 سنة وكانت الفتاة في الخامسة عشرة، واسمها ماري لويز تيرّاس. استمرّت علاقتهما 4 سنوات تخلّت في نهايتها عنه، من أجل "دوق بولندي". وحرر لها أكثر من 2000 رسالة زاخرة بالعواطف.

وفي مثل ذلك السياق من حياة فرانسوا ميتران، نشبت الحرب العالمية الثانية لتضع نهاية لتوجهه السياسي "اليميني" ولمشروعه "الرومانسي". ذلك لأن ميتران وجد نفسه في أحد معسكرات الاعتقال النازية. ونجح بعد فترة قصيرة بالهرب من معتقله والعودة إلى فرنسا.

بعد عودته مباشرة، بدأت "فترة سياسية خطيرة" في حياته. ذلك أنه كان على صلة مباشرة في القضايا الخاصّة بالمساجين مع حكومة "فيشي" المتعاونة مع الاحتلال النازي. ويغازل بالوقت ذاته المقاومة الفرنسية ضد ذلك الاحتلال. ويؤكّد المؤلف أن ميتران التزم نهائيا بصفوف المقاومة في صيف عام 1943، و"أبدى قدرا كبيرا من الشجاعة" وصولا إلى درجة "التهوّر».

يشرح المؤلف أنه بعد هزيمة النازية وتحرير فرنسا لم يغادر ميتران المشهد السياسي الفرنسي طيلة نصف قرن من الزمن. وأخيرا، في عام 1981، انتخب كأوّل رئيس اشتراكي لرئاسة الجمهورية، وأوّل رئيس يعاد انتخابه بالاقتراع العام ليحكم مدّة 14 سنة كاملة، أي أكثر من أي زعيم فرنسي منذ نابليون الثالث.

كان ميتران شغوفا بالقراءة والثقافة منذ سنوات طفولته. لكن نقطة ضعفه الكبيرة الدائمة على الصعيد الثقافي، والتي عانى منها طيلة حياته يحددها المؤلف بأنه لم يستطع أبدا أن يجيد اللغة الإنجليزية. وعندما أرسلوه صغيرا إلى بريطانيا لتعلّم لغة شكسبير، اكتسب خبرة كبيرة في لعبة "كرة المضرب ـ التنس ـ على العشب ولكن من غير إجادة الإنجليزية". وذلك إلى جانب "نقطة ضعف أخرى يؤكّد عليها فيليب شورت وهي حياته العاطفية المضطربة. وتركز هذه السيرة على مسيرة ميتران السياسية منذ أن أصبح نائبا في البرلمان عام 1946 وحتى وفاته بعد فترتين رئاسيتين عام 1996.

ومن المحطات الأساسية التي يتوقف عندها فيليب شورت طويلا في سيرة حياة فرانسوا ميتران، علاقته مع الجنرال شارل ديغول. ذلك بداية من "الموقف الشجاع" الذي اتخذه عام 1958 ضد ما أسماه الانقلاب على الجمهورية الرابعة وتأسيس الجمهورية الخامسة من قبل الجنرال تلك السنة. والإشارة إلى "النقد العنيف والبارع" الذي وجهه ميتران عام 1964 للجنرال، ثم ترشحه ضده لمنصب رئيس الجمهورية عام 1965.

وفي المحصّلة العامة، يرى فيليب شورت، أن ميتران كان أكثر واقعية من ديغول واستطاع أن يجسّد فرنسا بكل "نواقصه وصغائره ومآسيه وجبنه وعظمته وضعفه وقوته».

المؤلف في سطور

فيليب شورت صحافي بريطاني. أنجز دراساته في جامعة كمبردج. عمل لمدة تزيد على ربع قرن، كمراسل في الخارج، لشبكة "بي بي سي" البريطانية الإعلامية، ولمجلة "التايمز". من مؤلفاته: سيرة حياة ماوتسي تونغ/ الكتاب: ميتران.. دراسة يكتنفها الغموض،تأليف: فيليب شورت/الناشر: بادلي هيد- لندن- 2013/الصفحات: 688 صفحة.